البناء
السنة الثامنة / الثلاثاء / 19 تموز 2016 / العدد 2130
Eighth year / Tuesday / 19 July 2016 / Issue No. 2130

هل تسلّم الولايات المتحدة فتح الله غولن؟

■ حميدي العبدالله

طالب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الولايات المتحدة بتسليم رجل الدين فتح الله غولن المقيم في الولايات المتحدة بعد اتهامه بالوقوف وراء الانقلاب. وردّت الخارجية الأميركية على الطلب التركي بأنّ أنقرة لم تقدّم لواشنطن أية وثائق تؤكد وقوف غولن وراء الانقلاب، وكانت لهجة الناطق باسم الخارجية الأميركية أقرب إلى انتقاد الاتهامات التركية منه إلى تفهّم موقف تركيا.

لكن السؤال المطروح هل ترضخ الولايات المتحدة للضغط التركي وتقبل تسليم فتح الله غولن للسلطات التركية؟

الجواب على هذا السؤال واضح وقاطع: لن تقبل واشنطن تسليم فتح الله غولن، وذلك للأسباب والحسابات الآتية:

أولاً، فتح الله غولن يمثل أنموذجاً للإسلام الذي ترغبه الولايات المتحدة وتريده أن يعمّ كلّ العالم الإسلامي. ومعروف أنّ منظمة «خدمة» التي يديرها فتح الله غولن لها فروع في غالبية الدول الإسلامية، بدءاً من الصومال وانتهاءً بأندونيسيا، وهي ذراع فكرية للسياسة الأميركية في العالم الإسلامي، ومن غير مصلحة الولايات المتحدة التخلي عن هذه الجماعة، لا سيما في ضوء ما قاله الرئيس الأميركي باراك أوباما من أنّ «الإسلام السعودي» هو إسلام متطرف، واتهم الرياض بالوقوف وراء تصدير الإسلام المتشدّد الذي من رحمه تولد التنظيمات الإرهابية. صحيح أنّ الولايات المتحدة لا تريد التخلي بالمطلق عن «الإسلام المتطرف» لأنّ الإرهاب يخدم مصالحها ويساعد على تنفيذ سياساتها، ولكن أيضاً لها مصلحة في التعاون مع «إسلام آخر» لا يحمل مخاطر تنطوي عليها العلاقة مع «الإسلام المتشدّد».

ثانياً، الأسلوب الذي طالب فيه أردوغان بتسليم فتح الله غولن ينطوي على شيء من تحدّي الولايات المتحدة، وسيكون من الصعب على واشنطن قبول مثل هذا التحدّي والإذعان لمطلب أردوغان على النحو الذي ينال من هيبة الولايات المتحدة، ويبدو أنّ أردوغان على قناعة تامة بأنّ واشنطن لن تستجيب لمطلبه، ولهذا رفع المطلب علناً للضغط على إدارة أوباما، ربما للحصول على تنازلات منها في قضايا أخرى مقابل تراجعه عن مواصلة المطالبة بتسليم غولن.

ثالثاً، القوانين الأميركية تحول دون تسليم أشخاص يحملون الجنسية الأميركية إلى دول أخرى، وغولن حاصل على الجنسية الأميركية، ومقيم في الولايات المتحدة منذ نهاية عقد التسعينات، والأرجح أنّ واشنطن سوف تتذرّع بجنسية غولن الأميركية لرفض الطلب التركي، حتى وإنْ نجحت أنقرة بحشد الوقائع والأدلة التي تثبت تورّط غولن في العملية الانقلابية.

فوز بطعم الهزيمة...

■ جمال الكندي

مصطلح رياضي يطلقه أهل الرياضة للفوز الصعب الذي يخرج من عنق الزجاج، ولكن في النهاية يسمّى فوزاً، هذا في المجال الرياضي، ولكن لو عرّجنا إلى السياسة وقلنا انتصاراً سياسياً وعسكرياً بطعم الهزيمة فإننا نقصد ما حدث في تركيا من انقلاب عسكري كان في ساعاته الأولى ينذر بزوال حكم حزب العدالة والتنمية، والقضاء على أحلام رجب طيب أردوغان بأن يكون الزعيم الأوحد في تركيا.

هي ساعات قليلة حبست أنفاس الغرب والدول المجاورة لتركيا، كانت فيها ضبابية المشهد العام هي السائدة في الساعات الأولى لعملية الانقلاب العسكري، حيث انّ الرؤية لم تكن واضحة فكان نجاح أو فشل محاولة الانقلاب صعبة التكهّن لدى المراقبين، لذلك كانت ردود الأفعال العربية والغربية متأخرة نوعاً ما ومتأنية في اتخاذ المواقف المؤيدة أو المعارضة للانقلابيين.

فشل الانقلاب العسكري في تركيا انْ صحت تسميته انقلاباً عسكرياً سوف يلقي بظلاله على السياسة التركية الداخلية والخارجية، والتي من المحتمل ان تتأثر بما حدث وسيحدث من تغيّرات بعد هذا الانقلاب الفاشل، صحيح انّ الانقلاب لم يكتب له النجاح، ولكن كما قلنا هو بطعم الهزيمة، فأردوغان أصبح بعد فشل الانقلاب يتخوّف من المنظومة العسكرية ويدرك انّ العسكر وهم حماة عرين العلمانية في تركيا لن يتركوه يهنأ في حكمه ولو قام بتغييرات جذرية في بنية هذه المنظومة وخوف الحكومة التركية من تكرار محاولة الانقلاب مرة أخرى.

أيّد هذا الكلام الكاتب البريطاني روبرت فيسك في مقالة له في صحيفة «إندبندنت» البريطانية حيث قال «إنّ محاولة الانقلاب الفاشلة التي نفذتها مجموعة من الجيش التركي على الرئيس رجب طيب أردغان، لا يعني أنّ الأمور استتبّت وانّ الأخير أحكم سيطرته على الجيش». وقال أيضاً إنّ التاريخ يثبت بأنّ الانقلاب الفاشل يعقبه انقلاب ناجح لذلك أمر أردوغان أنصاره بالنزول إلى الشارع والاعتصام فيه خوفاً من تكرار المحاولة مرة أخرى.

أردوغان يعلم بأنّ تركيا الجديدة، تركيا كمال أتاتورك قائمة على جيشها الذي يعتبر حامي العلمانية فيها، فهو يتدخل كلما أحسّ ان النظام الأتتركي يكاد ان ينهار، والتاريخ التركي حافل بانقلابات سابقة تدخل فيها الجيش بسبب التناحرات السياسية بين الأحزاب التركية، وكذلك لحماية الإرث الأتتركي، والانقلاب الأخير لا يخرج عن هذا النطاق.

الانقلاب كان متوقعاً في تركيا حسب تسريبات إعلامية بسبب سياسة أردوغان في الداخل التركي وفي الخارج، والاتهامات الحكومية تشير إلى أنصار الداعية الإسلامي (فتح الله غولن) بأنه هو الرأس المدبّر لهذا الانقلاب، فهو انقلاب من قبل عسكريين موالين للداعية غولن المعادي لسياسة أردوغان، مع وجود نفي من قبل فتح الله غولن لمزاعم أردوغان وقوله انّ هذه مسرحية أردوغانية الغرض منها إيجاد مسوغ قانوني وشعبي لتصفية ما تبقى من معارضي حزب العدالة والتنمية في جميع مفاصل الدولة التركية.

هنا يأتي سؤال يطرحه المتابعون للسياسة التركية خاصةً الخارجية منها... هل سيغيّر حزب العدالة والتنمية سياسته الخارجية والتي امتازت بالمشاكل مع دول الجوار إلى تحسين العلاقات معها، وهل المصالحة التركية الروسية وبدء المغازلة السياسية مع الحكومة السورية هي البداية للتموضع الصحيح في السياسة الخارجية لتركيا؟ او انّ هذا الانقلاب الفاشل سيزيد من صلابة وعنجهية أردوغان وحزبه؟

الأكيد أنّ ما قبل هذا الانقلاب ليس كما بعده، وجرس الإنذار قد دقّ بعد هذا الانقلاب الفاشل، فأسباب الانقلاب الداخلية والخارجية يعلمها أردوغان تماماً، وهي ما زالت قائمة، وهنا تكمن المشكلة في كيفية المعالجة، فكلما كان القمع في الداخل التركي هو شعار أردوغان، والتصلب في الأزمة السورية هو الخط البارز والرئيسي فيها، وذلك عن طريق فتح الحدود للإرهابيين بأن ينطلقوا من الأراضي التركية إلى الداخل السوري، وهذا سوف يعزز من فرضية انقلابات أخرى مقبلة لا نعلم من سيكون الفائز فيها، وإذا أراد أردوغان عدم تكرار ما حصل مؤخراً فعليه حسب كثير من المراقبين ان يعيد حساباته الداخلية والخارجية على مبدأ المكسب والخسارة وليس على مبدأ الإيديولوجية الإخوانية لحزب العدالة والتنمية.

مشعل مع فلسطين أو مع أردوغان؟

- لم يكد يطلع ضوء النهار وقد فشل الإنقلاب في تركيا حتى بادر خالد مشعل إلى إعلان فرحته قائلاً: إنّ فلسطين كانت أول الخاسرين لو نجح الإنقلاب.
- يستطيع خالد مشعل أن يعبّر عن فرحته بنجاة زميله أو زعيمه الإخواني رجب أردوغان من الإنقلاب لكن عليه الإثبات بقوله إنّ فلسطين كانت ستخسر.
- ثمة احتمالات كثيرة في سياسة الإنقلاب الأرجح منها التموضع على خط السياسة الأميركية والأطلسية لكن بلا أوهام وجنون عظمة العثمانية الأردوغانية فتصير تركيا أكثر إنخراطا في حروب واشنطن على داعش وتفاهماتها مع موسكو حول سورية فبماذا ستخسر فلسطين في هذه الحالة؟
- أن يذهب الإنقلاب لترجيح كفة العلمانيين في تركيا على حساب الإخوان سيعني تراجعاً في حضور تركيا الخارجي لحساب الإهتمام بالداخل فهل كان التوسع الخارجي لتركيا لحساب فلسطين؟
- العلاقة بإسرائيل ستكون بأسوأ الأحوال شبيهة بعلاقة أردوغان وحزبه معها فماذا ستخسر فلسطين؟
- صفقة أردوغان الأخيرة كانت دعم إسرائيلي لتركيا بلجم الأكراد ودعم تركي لإسرائيل بلجم المقاومة فأين تخسر فلسطين برحيله؟

التعليق السياسي

التقرير الأسبوعي لمراكز الأبحاث والدراسات الأميركية

الجديد في سباق الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة

تتوجه أنظار النخب السياسية والإعلامية والفكرية في واشنطن صوب انعقاد مؤتمري الحزبين، الجمهوري والديمقراطي على التوالي، الأسبوع المقبل للجمهوريين يليه مؤتمر الحزب الديمقراطي على الفور.

سيستعرض قسم التحليل تقلبات نتائج استطلاعات الرأي الأخيرة، والتي تدلّ على تقدّم ترامب مقابل تراجع منافسته كلينتون. الجمهور العام عبّر عن استيائه من قرار مكتب التحقيقات الفيدرالي بعدم ملاحقة السيدة كلينتون قضائياً، مما يفسّر الانعطاف الحادّ في شعبيتها وعدم الوثوق بصدقيتها.

ايضاً، سنلقي نظرة سريعة على اختيار ترامب مرشحه لمنصب نائب الرئيس، حاكم ولاية انديانا مايك بنس، ودلالاتها على صعد متعدّدة.

التحديات أمام حلف الناتو

أعاد معهد كاتو الاهتمام بقمة حلف الناتو معتبراً «خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وروسيا» على رأس سلّم أولويات التحديات المقبلة، ومن ضمنها «سحابة داكنة في أفق الناتو، جنباً الى جنب مع الانتخابات الرئاسية الأميركية». واشار الى انّ المرشحة هيلاري كلينتون «ملتزمة بالحفاظ على الوضع الراهن للحلف، أما منافسها دونالد ترامب فهو بعكس ذلك، وذهب بعيداً في تصريحاته متسائلاً ما الحكمة من الإبقاء على الالتزامات الأميركية؛ وسخر من حلف الناتو كإطار عفا عليه الزمن».

واعتبر المعهد أنّ إدارة ترامب، في حال فوزه «ستطالب بإدخال إصلاحات جذرية على الحلف، وليس بعيداً احتمال مطالبتها بانسحاب الولايات المتحدة». وختم بالقول انّ الدول أعضاء المؤتمر «أبدت مؤشرات ضعيفة بالكاد تدلّ على مجرد إدراكها لعلامات التحذير المنتشرة؛ ويقف الحلف على عتبة تبلور أزمة داخلية».

التطرف الجهادي

حث معهد أبحاث السياسة الخارجية صنّاع القرار الاقتداء «بقدرات قوى الأمن والشرطة وتطبيقها على الجهاديين المتشدّدين، نظراً لتقاطع مهام التصدّي للجريمة المنظمة وعنف المجموعات الجهادية وخصوصاً تلك التي تطبّق أساليب عصابات المدن». وأوضح انّ كلا النمطين، الجهادي ومنظمات الجريمة، يستقطبان أعضاء من شريحة المهمّشين اقتصادياً، وتوظيفهما لوسائط التواصل الاجتماعية لعرض العضلات». وختم بالقول انّ تقاطع مهام المجموعتين «يشكل دليلاً لضرورة دراسة منظمات الجريمة وسبل التصدّي لها وتوفر مدخلاً لمكافحة الجهادية».

ليبيا

أعرب معهد كارنيغي عن اعتقاده بأنّ ليبيا «على عتبة كسب الحرب ضدّ تنظيم «الدولة الاسلامية - داعش»، اذ انّ العمليات العسكرية الأخيرة فرضت تراجع مقاتلي التنظيم في سرت باتجاهات الغرب والجنوب والشرق». أما على منطقة الساحل الليبي فقد استطاع «اسطول صغير من القوارب ومراكب الصيد مسلحة بصواريخ غراد وأسلحة مضادة للطيران إطلاق نيرانها على مواقع التنظيم وحرمان مقاتليه من فرصة الهرب والنجاة».

سورية

لفت معهد المشروع الأميركي الأنظار إلى ما يعتقده «جسراً جوياً يربط إيران وسورية» لتبرير خطأ قرار الحكومة الأميركية برفع العقوبات عن مؤسسة إيران للطيران. وطالب المعهد «بإعادة تقييم جادّة» للقرار أسوة بصفقات محتملة بيع طائرات مدنية، أوروبية وأميركية، للمؤسسة الإيرانية.

وأوضح أنّ «المسار الجوي من إيران إلى سورية ينطوي على ثغرة هامة»، مناشداً صنّاع القرار في واشنطن «المضيّ قدماً في الضغط على إيران للحدّ من دعمها للرئيس الأسد (...)، مما سيحرم طهران من تعزيز قدرتها لمواصلة الجسر الجوي».

إيران

في الذكرى السنوية الأولى لإبرام الاتفاق النووي حذّر معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى إدارة الرئيس أوباما من «الإبطاء الملحوظ في العقوبات المفروضة على إيران»، رغم إعلان أميركا عن عزمها «الدفع بقوة لفرض عقوبات على النشاطات الإيرانية التي تتمّ خارج إطار الخطة العامة للعمل المشترك...» وزعم بأنّ ايران «لم تقلع عن مسلكها الاستفزازي طيلة العام الماضي، اذ بلغ عدد الأفراد المصنّفين في عداد المقاطعة نحو 20 تقريباً مقارنة بتصنيف مائة ونيّف» في الفترة السابقة.

كما انضمّ معهد المشروع الأميركي الى جوقة المحرّضين على إيران «لانتهاكها بنود الاتفاق النووي». واستند في هجومه على تقرير صحافي يشير الى «تحذير المستشارة الألمانية انغيلا ميركل للبرلمان بأنّ إيران «تستمرّ في تطوير برنامجها الصاروخي مما يتعارض مع أحكام قرار مجلس الأمن الدولي» برفع العقوبات. وزعم المعهد انّ الرئيس أوباما وإدارته «يرفضان الإقرار بالمخالفات، بل تنظر لدعم جهود إيران الانضمام لمنظمة التجارة العملية، بل دعم وصول إيران للعملة الأميركية، وطائرات بوينغ، وشراء الحكومة الأميركية الماء الثقيل من إيران». وختم بالقول إنّ تصرفات الرئيس أوباما في هذا المجال «ستعيق سياسة الرئيس (الأميركي) المقبل وتكبّل يديه».

أفغانستان

حث مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الإدارة الأميركية الراهنة إجراء «تقييم شامل موسع لاستراتيجيتها في أفغانستان، ووضع شروط محدّدة لتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية في المستقبل». وناشد صنّاع القرار «عدم تكرار الشروط السابقة المطلوبة من أفغانستان بتقديم ضمانات اتخاذ إجراءات وتطبيق إصلاحات، وإبلاغ الأفغان نية الولايات المتحدة تأجيل تقديم الدعم انْ لم يتمّ الامتثال وتطبيق الشروط المحددة».

كلينتون قلقة من تراجع شعبيتها

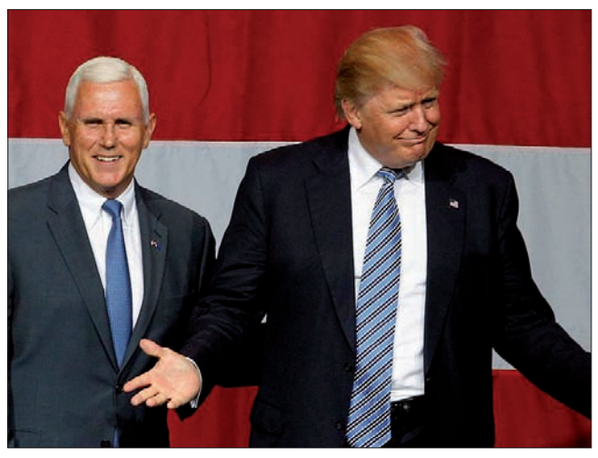

دونالد ترامب ونائبه مايك بنس

ضبابية الحسم

لا تلبث المرشحة هيلاري كلينتون أن تتمسك ببصيص أمل ولو رفيع يدلّ على تقدّمها حتى تعود وسائل الإعلام المختلفة إلى إصدار إحصائيات وبيانات واستطلاعات رأي للدلالة على شبه تعادل او تقدّم منافسها ترامب عليها. الأمر الذي جرى بوضوح مطلع الاسبوع الحالي.

بيد انّ أشدّ ما أقلق حملة السيدة كلينتون هو نتائج استطلاع أجرته جامعة كوينيبياك، المشهود لها بنزاهتها ودقتها، منتصف الأسبوع يشير الى تراجع شديد في شعبيتها لا سيما تدهور مصداقيتها لدى العامة، وتراجعت حظوظ كلينتون 8 نقاط مئوية أمام منافسها في ولاية فلوريدا بالغة الأهمية، وشبه تعادل بينهما في ولايتي أوهايو وبنسلفانيا.

أهمية الاستطلاع انّ توقيته يعتبر شديد الحساسية كونه جرى عقب إعلان مكتب التحقيقات الفيدرالي عدم ملاحقتها قضائياً، وأيضاً قبل بضعة أيام من انعقاد مؤتمري الحزبين، اذ كانت تتطلع السيدة كلينتون الى دفعة إضافية عقب انفضاض المؤتمر بما يعزز موقعها المتقدّم على ترامب.

يشار الى انّ الفارق النسبي بين المرشحين المحتملين بلغ 8 نقاط مئوية الشهر المنصرم لصالح كلينتون. اما في الاستطلاع الأخير في ولاية فلوريدا فقد تقدّم ترامب عليها بنسبة 42% مقابل 39% لكلينتون. وحافظ ترامب حسابياً على تقدّمه ان جرت الانتخاب بين ثلاثة مرشحين، اذ حاز على 42% مقابل 39% لكلينتون، وكذلك الأمر في ولايات اخرى.

تراجع شعبية كلينتون أضحى مقلقاً لقادة الحزب الديمقراطي لإدراكهم انّ نتائج كوينيبياك دقيقة، ضمن مجال الخطأ الحسابي. وتتصدّر كوينيبياك المؤسسات الأخرى لنزاهتها ووصفت «بمعيار الذهب» حين يتعلق الأمر بالاستطلاعات والقراءات السياسية. ميزة كوينيبياك البارزة تكمن في استقلاليتها عن ايّ مؤسسة أخرى وتجري الاستطلاعات بمهنية عالية، فيما الآخرون يتمّ تكليفهم بالمهمة من قبل مؤسسات صحافية وإعلامية في معظم الأحيان.

تقاطعت نتائج كوينيبياك مع أخرى اجرتها مؤسسة راسموسن مفادها تقدّم ترامب بنسبة 44% مقابل 37% لكلينتون. بينما أسفر استطلاع آخر، جرى لحساب شبكة (سي بي اس) للتلفزة بالاشتراك مع صحيفة «نيويورك تايمز»، تعادل المرشحين بنسبة 40%.

قرار مكتب التحقيقات الفيدرالي (اف بي آي) بعدم التوجه لملاحقة كلينتون قضائياً، على خلفية بريدها الالكتروني، أثار موجة جديدة من الغضب الشعبي، بصرف النظر عن الانتماء او التعاطف السياسي، مما يفسّر جذر تراجع شعبيتها بهذه السرعة وتقدّم ترامب بكلّ ما يحمله من أثقال، وتأجيجه التوجهات العنصرية ضدّ الأقليات والمهاجرين. وعزت جامعة كوينيبياك التدهور الى قضية بريدها الالكتروني تحديداً، واعتبار العامة بأنها غير كفوءة ولا تتحلى بالصدق لتبوؤ منصب رئيس البلاد.

تعتبر ولايات فلوريدا وأوهايو وبنسلفانيا فاصلة في السباق الانتخابي لما لها من مكانة مميّزة في التوازنات السياسية، يبلغ مجموع مندوبيها 67. كلينتون تراجعت فيها جميعاً حين تعلق السؤال بالمصداقية والثقة والكفاءة: 59% في فلوريدا؛ 60% في اوهايو؛ و65% في بنسلفانيا. في المقابل تقدّم منافسها في الولايات الثلاث: 54% في فلوريدا؛ 59% في اوهايو؛ و 57% في بنسلفانيا.

نستطيع القول انّ ثبات تراجع شعبية كلينتون، بسبب انعدام صدقيتها، يضع نتائج الانتخابات الرئاسية في خانة التكهّن في أفضل الأحوال، وربما ستفرز دعماً لترامب يعادل كلينتون في المحصلة النهائية.

ترامب ونائبه

استطاع ترامب إشغال المؤسسات الاعلامية والنخب السياسية لفترة غير قصيرة للتكهّن بشخصية نائبه الذي سيعلن قبل المؤتمر الحزبي. برع ترامب ايضاً في اقتناص الفرص لصالحه، اذ أعلن عن تأجيل الكشف عن هوية اختياره بسبب الهجوم الإرهابي في نيس بفرنسا، ولم يشأ إهمال تصدّره للعناوين السياسية او مزاحمته لقضايا اخرى.

وما لبث أن أعلن اختياره حاكم ولاية انديانا، مايك بنس، الذي كان يقف على عتبة انتخابات قاسية لتجديد ولايته، وتزامن الإعلان مع الموعد النهائي لتقديم طلب إعادة الترشيح، والا سيعتبر منتهي الصلاحية.

نظرة سريعة على بنس قد تدفع البعض لاعتباره «الوجه الحضاري والمسؤول» لتقلبات ترامب ويسدّ ثغرات أساسية في نواقصه، وذلك لطبيعته الهادئة نسبياً وطول سجله كعضو مجلس نواب سابق مكث فيه 12 عاماً؛ وميوله المتشدّدة للمحافظين، كونه من أبرز أعضاء «تيار حزب الشاي»؛ ومعارضته المبدئية لقدوم المهاجرين؛ فضلاً عن قسوة أحكامه بالسجن على ايّ جنحة ترتكب، فما بالك بالجرائم الكبيرة.

المرشح بنس عرف الجمهور عن نفسه دون مواربة، أحدثها لصحيفة رئيسة في ولايته انديانابوليس ستار، مطلع الشهر الحالي. وقال: «انظروا، لقد قضيت 14 عاماً في المناصب العامة: سنة ونصف السنة كحاكم (للولاية)، و 12 عاماً في مجلس النواب (ممثلاً لولايته في الكونغرس)، يسعدني القول «انني من المحافظين».

ابان خدمته في الكونغرس، عارض بعض برامج الرئيس بوش من باب أنها «لا تمثل مصالح المحافظين وتخوّل الدولة المركزية صلاحيات أوسع». وصوّت لصالح مشروع قانون عام 2004 «يحرم الدولة الفيدرالية من تعويض المستشفيات التي تقدّم خدمات طوارئ للمهاجرين دون وثائق قانونية». وتبنّى عام 2006 خطة متشدّدة ضدّ الهجرة وصفها بنفسه بأنها «لا للعفو في إصلاحات (قوانين) الهجرة»، التي رمت لتحصين الحدود الأميركية المشتركة مع المكسيك.

في منصبه الحالي كحاكم لولاية انديانا، اشتهر بنس بالاصطفاف ضدّ قوانين تحرّر المرأة من تدخل السلطة في خصوصياتها، منسجماً مع خلفيته الدينية المتشدّدة «المسيحية الانجيلية؛» واصدر أوامره لسلطات ولايته بالكفّ عن تقديم ايّ مساعدات لتوطين المهاجرين السوريين - الذين سيتمّ فرزهم أمنياً من قبل وزارة الأمن القومي.

في الشأن الاقتصادي، صادق بنس على قوانين تخفيض الضرائب عن الشركات والمصالح الكبرى والأثرياء في ولايته؛ وحليف موثوق لحملات «تخصيص التربية والتعليم»، الذي من شأنه حرمان الشرائح الاقتصادية الوسطى والدنيا من فرص التعليم والتقدّم، وخاض مواجهة قاسية مع مفتش التعليم العام الديمقراطي في ولايته لتحقيق هدفه وصفها بأنها «معركة من أجل السيطرة».

وعليه، يمكن القول انّ ترامب استدار نحو المؤسسة الحاكمة لدعمه انتخابياً ولم تبخل عليه بترشيح بنس «لإنقاذ حملته»، وهو الحارس الأمين لبرامج الحزب الجمهوري الإقصائي للآخرين.

الجزائر في عيد استقلالها... هل ينسى التاريخ؟

■ هشام الهبيشان

في مثل هذه الأيام يحتفل الأشقاء في الجزائر بذكرى استقلالهم، هذا الاستقلال هو عبارة عن أسطورة لم يعرف لها العالم مثيلاً، ولا التاريخ البشري لها أنموذجاً. هذه الملحمة هي عبارة عن أسطورة وحكاية طويلة الفصول، حزينة الأحداث، تجمع بين البطولة والمأساة، بين الظلم والمقاومة، بين القهر والاستعمار، بين الحرية وطلب الاستقلال، كان أبطال هذه القصة الفريدة مليوناً ونصف المليون شهيد، وملايين اليتامى والثكالى والأرامل، وكتبت أحداثها بدماء قانية غزيرة أهرقت في ميادين المقاومة، وفي المساجد، وفي الجبال الوعرة، حيث كان الأحرار هناك يقاومون الاستعمار بكل تجلياته.

وفي التفاصيل أنه في عام 1830 نزلت القوات الفرنسية في شبه جزيرة سيدي فرج غرب العاصمة الجزائر، بعد أن أعدّت جيشاً يضمّ 40 ألف جنديّ من المشاة والخيالة، مزوّدين بأحدث أدوات الحرب، وأسطول يتكوّن من 700 سفينة، وقد اختار الفرنسيون هذا الموقع لحرصهم على مباغتة مدينة الجزائر بالهجوم عليها براً، نظراً إلى صعوبة احتلالها من البحر، فقد صمدت طيلة قرون أمام الأساطيل الغازية، وبمجرد أن وطأت الجيوش الفرنسية أرض الجزائر، هبّ الشعب الجزائري الرافض للسيطرة الأجنبية للدفاع عن أرضه، قائماً إلى جهاد نادت إليه الحكومة المركزية، وطبقه العلماء والأعيان في الجزائر.

وقد تركزت المقاومة الجزائرية في البداية على محاولة وقف عمليات الاحتلال، وضمان بقاء الدولة لكن معظم هذه المحاولات باءت بالفشل نظراً إلى عدم توازن القوى، وتشتّت الثورات جغرافياً أمام الجيوش الفرنسية المنظمة التي ظلت تتزايد وتتضاعف لديها الإمدادات، وقد استمرّ صمود الجزائريين طوال فترة الغزو متمثلاً في مقاومات شعبية تواصلت طيلة القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين ومن أهمّ الثورات المسلحة خلال هذه الفترة:

– مقاومة الأمير عبد القادر والتي امتدّت من 1832 إلى 1847 وشملت كلاً من المدية وبسكرة وليانة ومعسكر وتلمسان.

– ثورة محمد بن عبد الله الملقب بومعزة، من 1845 إلى 1847 بالشلف والحضنة والتيطري.

– ثورة أولاد سيدي الشيخ من 1864 إلى 1880 بواحة البيض وجبل عمور ومنطقة التيطري، سور الغزلان وتيارت بقيادة سليمان بن حمزة، أحمد بن حمزة، سي لتعلي.

وفي بداية القرن العشرين، بلغت السيطرة الاستعمارية في الجزائر ذروتها على رغم المقاومة الشعبية التي شملت كامل أنحاء الجزائر تقريباً، وبدأ دوي المعارك يخفّ في الأرياف ليفتح المجال أمام أسلوب جديد من المقاومة وهو النضال السياسي الذي انطلق من المدن، ويعود الفضل في ذلك إلى ظهور جيل من الشباب المثقف الذي تخرّج من جوامع الزيتونة والأزهر والقرويين، ومراكز الحجاز، وعمل على نشر أفكار الإصلاح الاجتماعي والديني، كذلك دفعات من الطلاب الجزائريين الذين تابعوا تعليمهم باللغة الفرنسية، واقتبسوا من الثقافة الغربية طرقاً جديدة في التفكير لإنجاح نضالهم وفكرهم في الوصول إلى حقوقهم واستقلالهم.

واستمرّ النضال السياسي والمسلح المقاوم في كلّ الميادين فقد ظهرت حركات سياسية عدة في تلك الفترة، ونشطت الحركة الوطنية على الصعيد السياسي، فاتحة المجال أمام تكوين منظمات سياسية تمثلت في ظهور تيارات وطنية شعبية وتأسيس أحزاب سياسية من أهمّها، حركة الأمير خالد، حزب نجم شمال أفريقيا 1926 وحزب الشعب الجزائري 1937 وجمعية العلماء المسلمين 1931، وبالتوازي يعمل كلّ طرف للوصول إلى اللحظة التاريخية التي يعلن فيها استقلال الجزائر وقد وصلوا فعلاً إلى غايتهم، وأعلن استقلال الجزائر بشكل كامل عن المستعمر الفرنسي ولكن بعد تضحيات جسام نذكر منها هنا:

- مجزرة عام 1945، وهي مجزرة رهيبة شملت مدن سطيف وقالمة وخراطة، سقط خلالها ما يزيد عن 45.000 شهيد.
- إبادة قبيلة العوفية بوادي الحراش ومصادرة ممتلكاتها عام 1832.
- إبادة قبيلة بني صبيح، إبادة قبيلة أولاد رياح بجبال الظهرة.
- إبادة سكان واحة الزعاطشة 1849.

وكشاهد حي على كلّ هذه المجازر يقول أحد القادة العسكريين الفرنسيين بالجزائر وهو السفاح ديمونتنياك الذي اشتهر كقاطع للرؤوس، ويسجل في كتابه رسائل جندي: «إننا رابطنا في وسط البلاد وهمّنا الوحيد الإحراق والقتل والتدمير والتخريب حتى تركنا البلاد قاعاً صفصفاً، إنّ بعض القبائل ما زالت تقاومنا لكننا نطاردها من كلّ جانب حتى تصبح النساء والأطفال بين سبي ونبيح، والغنائم بين سلب ونهب»، ويضيف قائلاً: «ينبغي أن نقتل كلّ الرجال والأطفال وأن نضعهم في السفن ونبعث بهم إلى جزر المركيز أو غيرها، وبكلمة مختصرة، ينبغي أن نقضي على كل من لا يركع أمامنا».

لقد كان الاستعمار الفرنسي يهدف من خلال حديث هذا السفاح المدعو ديمونتنياك إلى إلغاء الوجود المادي والمعنوي للشعب الجزائري، وأن يكون هذا البلد تابعاً لفرنسا لذلك تعدّدت وسائل الفرنسيين لكسر شوكة الجزائريين وعقيدتهم ووحدتهم، إلا أنّ هذه المحاولات تحطمت أمام صلابة هذا الشعب وتضحياته وتماسكه، فقد بدأ الفرنسيون في الجزائر باغتصاب الأراضي الخصبة وإعطائها للمستوطنين الفرنسيين، الذين بلغ عددهم عند استقلال الجزائر أكثر من مليون مستوطن، ثم محاربة الشعب في عقيدته، فتمّ تحويل كثير من المساجد إلى كنائس أو مخافر للشرطة أو ثكنات للجيش، إضافة إلى ما ارتكبوه من مذابح بشعة، أبيدت فيها قبائل بكاملها.

لقد أحدث المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر جروحاً عميقة في بناء المجتمع الجزائري، حيث عملت فرنسا على إيقاف النمو الحضاري والمجتمعي للجزائر مئة واثنتين وثلاثين سنة، وحاولت طمس هوية الجزائريين الوطنية، وتصفية الأسس المادية والمعنوية التي يقوم عليها هذا المجتمع، بضرب وحدته القبلية والأسرية، واتباع سياسة تبشيرية تهدف إلى القضاء على دينه ومعتقده الإسلامي، وأحياء كنيسة أفريقيا الرومانية التي أخذت بمقولة «انّ العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين».

ولكن شاءت الأقدار الإلهية وإرادة الشعب الجزائري أن يكون اليوم الذي بدأ فيه الاحتلال الفرنسي للجزائر هو نفس اليوم الذي استقلّت فيه، غير أنّ الفارق الزمني بينهما 132 سنة امتلأت بالأحداث والشهداء، أكثر من مليون ونصف المليون شهيد، وبالخراب والدمار الواسع لبلد أنهكه الاستعمار، بلد وشعب عاشا لحظات الألم والأمل، فقد ضحّى الشعب الجزائري خلال 132 سنة بكلّ ما يملك في سبيل الوصول إلى غايته بالتخلص من استعمار دموي أقلّ ما يمكن تشبيه بالاستعمار النازي الفاشي الصهيوني بقدر ما ارتكب بحق هذا الشعب من مجازر ومذابح تشوّه تاريخ البشرية.

وفي عام 1962 تجلى عزم الشعب الجزائري على نيل الاستقلال عبر نتائج الاستقلال عبر نتائج الاستفتاء التي كانت نسبتها 99.7 في المئة نعم، وتمّ إعلان استقلال الجزائر يوم 3 تموز 1962 واختير يوم 5 تموز عيداً للاستقلال، عيداً لاستذكار تضحيات مليون ونصف المليون شهيد، عيداً لاستذكار ملاحم الآباء والأجداد، عيداً لاستذكار وحدة الجزائر الجغرافية والديمغرافية، فهذه هي الجزائر بلد الشهداء وبلد الكرامة والعزة والشموخ، دامت بخير ودام شعبها متمسكاً بوحدته محافظاً على تاريخ الآباء والأجداد.